

فكر نقاضي

كتابه الجديد خلاصة تجاربه الحياتية والشخصية والمهنية

رمزي النجار:

زواجة العمر «بالجبر لا بالنقر»

إنه احد ابرز صنّام السياسات الإعلامية والإعلانية في لبنان والمنطقة. في كتاب «فكر على ورق - تحبّر لنعبّر» (مكتبة انطوان)، يضم رمزي النجار ما يمكن اعتباره خلاصة افكاره وآرائه الفلسفية الخاصة في فئة مصطلح/ مفهوم مستندا إلى ذخيرة وافرة من القراءة والمعرفة وبإعجاب طويل في التجارب الحياتية والعملية الغنية



فراس خليفة

يُتوقّ رمزي ج. النجار إلى زمن السورق والتعبير «بالجبر لا بالنقر». الرجل الذي يُعدُّ أحد أبرز صانعي السياسات الإعلامية والإعلانية في لبنان والمنطقة، يحاول من خلال كتابه «فكر على ورق - تحبّر لنعبّر» (مكتبة انطوان) الهروب من غطبان «وسائل التواصل الاجتماعي» على تفاصيل الحياة اليومية للناس، مقلِّداً «العودة إلى الذات» ليقدّم للقارئ العربي مجموعة كبيرة من الآراء في الفلسفة والحياة و«الاساسيات» اليومية. ترمي هذه الآراء إلى «إحداث ما يمكن أن يشجّع القراء على الكتابة في المواضيع ذاتها التي يكتب فيها المؤلف».

فلسفة خاصة و«تفاعل تواصل» على الورق

لك أن تخالّ الآن رمزي النجار مُؤدِّباً دور رجل ذي معرفة وحكمة واستعدّتين في فيلم سينمائي يحاكي أحداثاً واقعية تحصل في مكان ما من المنطقة العربية. يجلس الرجل ذو الشعر الأبيض تحت شجرة عملاقة مُعشّرة في إحدى القرى الريفية أو داخل قاعة واسعة في نواحي المدينة ليتلقّى «كلماته- مفاتيحه» أمام مجموعة من الناس يغلب عليهم عُصر الشباب. يقرأ لهم يتشغف عن الحياة «ميزر وجودنا الأني»، والموت ذلك «العالم المجهول» والخوف «منذلة البشر... عن الله» وجهة الإنسان المُثلى، والجسد «مركب الروح» والموسيقى كـ«غسول للروح ودواء للنفس البشرية»، والمال «هاجسنا الدائم» والشهرة «السراب الخادع... عن الصلاة» «البلسم الذي يشفي جراحنا» والمسرح «التعبير الأكثر نقاء عن أصالة الإبداع الإنساني»، وعن الكتاب «الذي لن يموت» وأيضاً عن القهوة «نخمة الضيافة»، كما عن الشوكولا «نعمة التذوق» عند الإنسان وغيرها من مفاهيم ومصطلحات هي «من خواص الحياة ومكوناتها الأساسية». في كتاب «فكر على ورق - تحبّر لنعبّر»، يضع رمزي النجار ما يمكن اعتباره خلاصة أفكاره وآرائه الفلسفية الخاصة في فئة مصطلح/ مفهوم مستندا إلى ذخيرة وافرة من القراءة والمعرفة وبإعجاب طويل في التجارب الحياتية والعملية الغنية. كأننا بالرجل نبتز من الوقت، وقته هو، وقتاً مُستقطعا للتأمل وتالياً للكتابة في أكثر المفاهيم أهمية والحاجاً لخصها في النهاية بين دفتي كتاب أنيق في ما يعتبره المؤلف «كتابة هادفة ومُشوّرة»، يكتب بلغة فيها مزيج من الكتابة الأدبية و«الكتابة الإبداعية» الإعلامية التي تُعدُّ النجار واحداً من أعلامها، فضلاً عن كونه أحد أهم المؤثرين في صناعة الرأي العام، ولو أن وجهه بقي غير معروف لأغلب أبناء جيل الـ «انستغرام» والـ «أبياد». بأسلوبه الأنيق في الكتابة، يبتعد المؤلف عن الرقابة كما عن الوطء أو الأذعاء المنقرّ للقارئ جاعاً بين البساطة في التعبير والعمق في المضمون. لم يكتب النجار ليُشبع رغبته الخاصة في «التحبير» على الورق فقط، بل دعا القراء منذ السطور

بناء ذخيرة فلسفية فكرية وأخلاقية لكل إنسان يريد الاستقلالية والبدء بمدرسته الفلسفية الخاصة

يقدم عرضاً لآراء عدد من الفلاسفة وعلماء الاجتماع وادباء كبار ينتمون إلى ثقافات متعدّدة

الأولى - إلى مشاركته التعبير من خلال ما يسمّيه «تفاعلاً تواصلياً» بهدف ابتكار فلسفتهم الخاصة والابتعاد عن «الإستيراد النجار»: «من تحدّيات هذا النوع من الكتابة الذي اخترته كي أكون محفّراً للقارئ، أن يكتب ويعبّر بذاته فعلاً وليس فقط في ذهنه، بل كتابة على الورقة البيضاء المقابلة، أن يواجه الكاتب خطر تكرار المعروف والمألوف والمجوج، لذا التحدّي في الابتكار كما في كشف ما لم يتوقّع القارئ أن يصل إلى إدراكه». من البداية التي اختار لها عنوان «الكلمة» بوصفها «مفتاح البشرية في سعياها إلى القداسة» حتى النهاية التي تعدّد أن تكون عن شبكات التواصل الاجتماعي «المرنّوحة في فائدتها كما في إنمها»، سيحذّ القارئ هذا الترابط الكبير بين العناوين/ المفاهيم كما لو أنه أمام سلسلة مُتصلة ومتكاملة من الأفكار التي «تتناسل» وتتكاثر من بعضها البعض. وإن عمد المؤلف في السطر الأخير من كل صفحة إلى التمهيد لـ «المصطلح» التالي، ليؤكد على فكرة الترابط إيابها، إلا أن العناوين المختارة بعناية وذكاء يمكن قراءتها أيضاً بشكل مستقل، كلاً على حدة، كما لو أنها قصيدة في ديوان شعري. يبدو واضحاً أن «فكر على ورق» كتاب مشغول لهذه المرحلة، يدعو الكاتب من خلاله إلى جراحة الإقدام على التعبير كما طرح الأسئلة ومواجهة التحديات، فضلاً عن كونه يقدم مساهمة معرفية من خلال الآراء التي طرحها الكاتب في «معجمه» الخاص. والرجل، من خلال أفكاره في الكتاب، لا يبدو بعيداً عن منظومة أخلاقية-ذنية واسعة مؤثّرة في بناء شخصيته. منظومة لا تحتفي بدين سماوي واحد أو بمعتقدات جاهزة ومعلّية بل تفتح النقاش على أوسع مدى بعيداً من الانتماء كالتأثفية والمذهبية والطبقية الاجتماعية الكاذبة». ما يؤدي في النهاية إلى الإنعزال والتفوق، برأي المؤلف. مع «فكر على ورق»، يبدو لنا رمزي النجار مثقفاً من الطراز الرفيع ومحضاً بتجربة مهنية طويلة كان فيها شاهداً على عدد كبير من «الاختراقات المذهلة» في عالم تكنولوجيا المعلومات وأدوات الاتصال والتواصل: «احتفلتُ بالخيابة» من أكثر العبارات تكراراً في يوميات الناس ووسائل الإعلام و«النشاشطين» على اختلاف مُسمّياتهم. والحديث عن الجسد والجنس والزواج كما عن المآكل والمشرب وأفة المخدرات وحتى عن السيارة كوسيلة نقل أو عن السينما والتلفزيون وغيرها، قد لا يبدو مغرباً بالنسبة للقارئ

عرضاً لآراء عدد من الفلاسفة وعلماء الاجتماع وادباء كبار ينتمون إلى ثقافات متعدّدة، لكنّه. وهذا الأهم. يطبع الموضوع بأفكاره الخاصة سواء من خلال موقف حاسم أو عبر طرح مجموعة أسئلة لا تخلص إلى إجابات نهائية بالضرورة. يقول النجار في إحدى صفحات الكتاب: «لعلّ الإنسانية في نهاية الأمر وُلدت لتتساءل.. لا لتُحجب». وفي اختياره للمواضيع المطروحة، ثمة مروحة واسعة من العناوين لا تبدأ بالحدّث عن الله والخلود والمعرفة والجمال كما عن الصداقة والرّسوة، ولا تنتهي بالحديث عن المدينة والقرية والضحك والبكاء والسّماء والغيوم والشمس والقمر وغيرها. ما هو أهمُّ من التوصيف التقليدي الذي يقدّم لهذه المفاهيم، هو أنه «فلسفها» باعتبارها تحمل دلالة أو رمزية. ما الذي يمكن أن يضيفه الكاتب في حديثه عن ثنائية «البحر والجبل» مثلاً؟ يقول: «الإبحار في المغامرة، والإنجاز في تسلّق جبل وتوقّع على قمة رأسه برمز توقفاً من على علوّه كجبل، ومن على عمقه كبحر: هكذا نرقّ الإنسان، وهكذا نشعر بتوقّفنا وهدف لحياتنا». وكما في «البيدييات» و«التبوابت»، يخوض النجار أيضاً في قضايا إشكالية يمكن وضعها تحت مسمى إشكالية «الثابت والمتحوّل» التي أقر: «الكاتب لها عنواناً خاصاً. يقول: «ذلك هو التحدي الدائم في مسار

مقتطفات من الكتاب

■ **الجريدة:** هي من أروع ما أبداع الإنسان في عالم الإعلام والتواصل... أنا من هؤلاء اللواتقن أن الجريدة كما عرفناها لن تموت وإن كانت ستخسر.

■ **السوشال ميديا:** اختراق تاريخي وإنجاز غير وجه البشرية ومنح الإنسان مقدرة غير مسبوقة في العولة كما في التواصل. لسدّ في وارد نكران فوائدها فاحترام مزاياها هو ثابت وأكد وفي جوهر مهنتي واعتزازي يكون عاصرتها وعرفتها. لم يعد بالإمكان الرجوع إلى الوراء، لكن الإنسانية نظمت تناسله بالزواج والعقود الحضارية والحقوق القانونية والأحوال الشخصية فأوقفت أو حدّت من العهر والبؤس والجريمة... وذلك هو ما أتمناه للسوشال ميديا التي تحتاج منذ الآن وبقوة وبالبحاح إلى التشريع وإلى ضبط ذاتها بالشرعة الأخلاقية وبإضافة المعايير والمقاييس والسائلة والمحاسبة بدون الوقوع في القمع والمنع والرقابة السلبية.

■ **العلم والتكنولوجيا:** نستحقّ فعلاً أن نحتفل؟ أيُّ علم هذا؟ أيّة تكنولوجيا وتطور؟ نحن في خضم انقسام شخصية البشرية التي تدعى السيطرة على كونها، بينما هي عاجزة أمام أسبسط مقدرات الوجد والظلم والحرمان والتدهور حتى التلاشي.

■ **السفر:** يغبنا ويجهلنا نختر أعماق إنسانيتنا ونزداد في معرفتنا، وتتوسّع آفاقنا وتنصهر شخصياتنا وتغير أفكارنا السبقة ونحقق كافة طاقاتها التي نحملها في قدراتنا وملكاتنا، ونكتسب صداقات وعلاقات ومغامرات ترتفع بالتجربة الإنسانية لدينا إلى مستويات مُجربة وجزيلة المرديد والتتوّع.

■ **المسرح:** هو التعبير الأكثر نقاء عن أصالة الإبداع الإنساني. كان المسرح ويبقى أقرب الفنون إلى طموح الإنسان وولعه في خلق الأحداث والسيطرة على الشخصيات. ومن هنا ما حدّده أرسطو بتعبير «التطهير»، حيث يغسل المسرح عار الواقع المؤلم لا لندرة لنا على تغييره، لذا نحاكيه عبر المسرح، ونُظهِر مشاعرنا وأحاسيسنا العميقة بالإبداع وتحديد الخاتمة بالمشاهدة والمشاركة.

الإنسانية: ما هي الثوابت؟ وما هي المتغيرات؟ كيف نحدّد مقاييس الثابت، وما هي سمات المتحوّل؟ هل الثوابت ظرفية؟ هل يتغير معيار الثوابت عندما تتطور التكنولوجيا وتحقق ما كان مستحيلًا في الأوس وصرأ عاديا مضجراً اليوم؟» لا شيء يبقى على حاله. يعيش الكاتب والقارئ معا في عالم يشهد في كل ساعة متغيرات متسارعة. وكثير من «التبوابت» التي كانت محظورات بالأمس لم تعد كذلك اليوم. في الموقف من «العولة» مثلاً، وهي أحد أكثر المصطلحات إشكالية وتداولاً منذ ظهوره قبل عقدين من الزمن، يقف الكاتب في «الوسط» تماماً محاولاً التوفيق بين استمرار العولة والحفاظ على الهوية. يقول: «ما نخاف عليه اليوم، هو مزج الألوان المتعددة التي تغني الإنسانية وتنتج على خنبة رشام المجتمعات، فنعرض موشور الألوان ومئات اللطال الموافرة من كل لون، فنرى خبارات لا تحصى من كل لون، مما يمنع الإنسان العنى وحرية الاختيار، وبالتالي، يمنع كل واحد منا ضمن وطنه أو شعبه، هويته الخاصة به... برأيه «لا قدرة لأحد اليوم على أن يحسم هذا الصراع بين منافع العولة واضرارها، بين حتمية الحفاظ على الهوية وخطر فقدانها وضياها». يضيف: «مع إشراقة كل يوم، يتغير الجواب وأحياناً نرى العولة عنوة الهوية ثم نرى الهوية قيمة مضافة على العولة. لن الغلبة؟ سيأتي اليوم الذي نعرف فيه الجواب، ونتمنى أن تبقى هويتنا قائمة وعولمتنا مستمّرة».

فضلاً عن كونه يُعدّ مرجعية في صناعة الإعلام والإعلان في منطقة الشرق الأوسط، لعب النجار ويلعب دوراً في «التواصل السياسي في المنطقة لتعزيز الحوار بين المواطنين والحكومات وزيادة درجة الوعي بين شرائح المجتمع كافة وبناء الثقة والدعم وتغيير المواقف والأداء والتشريعات وخيارات الحياة السياسية»، وفق ما يذكّر ناشر الكتاب. من هذا الموقع يمكن فهم مقاربه المفهومي «الحرب» و«السلام». برأيه، فإن التاريخ «أثبت لنا أن لا فائدة تُرجى من الحروب». إلا يبدو هذا الكلام مثالياً في الوقت الذي تُشن فيه أكبر وأقدر أنواع الحروب لغايات وأهداف اقتصادية كبرى مثلاً؟ وفي الوقت الذي يرى فيه كثير من صنّاع السياسة أن فترة «السلام» تكاد تكون «الاستثناء» سواء كانت قصيرة أم طويلة، يذهب النجار إلى أنه لا بد في النهاية من أن «تعود للإنسانية نعمة السلام ورغبة تعميمه وترسيخه وديمومته». في أوراق رمزي النجار التي تبلغ الـ 200، بما فيها الأوراق البيضاء التي تركها المؤلف عمداً للقارئ والقارئة لمشاركتة الكتابة ضمن ما أسماها «منهجية جدوى الكتاب وهدفه»، ثمة ما يشبه العودة إلى البنابيع النقية ولكن بد «روح العصر وأدواته ومفرداته، التحدي الأكبر. للكاتب والكتاب معا. ربما يبقى في مدى نجاحه في تحقيق «خرق» ولو نسبي في مخاطبة عقول الأجيال الجديدة، وهو يتمنى عليها أن «لا تستغني عن القلم، وأن تلغي طباعة الكتب على الورق».